أثر الاختلاف المذموم في تخلف الأمة

بقلم
د/ أحمد بوسجادة(*)

ملخص

يتناول هذا البحث الحديث عن الاختلاف كيف كان ضرورة شرعية اجتماعية، من عهد الرسول ﷺ وأصحابه، في حياته وبعد مماته... إذ كان الاختلاف تنوعا وثراء علميا وفكريا. وظل الأمر على ذلك النحو حتى القرون المتأخرة، حيث تحول الاختلاف من دائرة المحمود إلى المذموم، ومن دائرة التكامل إلى دائرة الافتراق...

لقد تفرقت الأمة الواحدة إلى جماعات ومذاهب، وأصبح بأسها بينها شديدا، إذ تم التركيز على قضايا فرعية ثانوية، وجعل من الحبة قبة ومن النملة فيلا.

ففي زمن العولمة نجد كل الدول تتجمع وتتكتل، بينما أمتنا تتمزق وتتفرق. والنتيجة ما نلاحظه من تخلف في الميدان السياسي والاقتصادي والعلمي، ومن هنا وجب أن يتم التفكير بجدية في سبيل الخروج من دائرة الاختلاف المذموم إلى المحمود، وبالتالي من التخلف إلى التقدم، ومن الضعف إلى القوة، وهذا ما سوف يتضح من خلال المقترحات المقدمة في نهاية البحث.

الكلمات المفتاحية: الأمة، الاختلاف، التعصب، التخلف.

مقدمة

لقد اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى في الخلق أن يكونوا مختلفين. لقوله تعالى:﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾[1].

قال البعض: للاختلاف خلقهم، وقال البعض الآخر: للرحمة خلقهم، وقال فريق آخر: للاختلاف والرحمة معاً.

كما اقتضت مشيئته سبحانه وتعالى أن يكون الاختلاف ناموساً اجتماعياً وقانوناً عمرانياً ، تقوم

(*) أستاذ محاضر "أ"بقسم أصول الدين ـ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة
alisdi309@yaho.com

عليه مصالح العباد، وتحفظ به الأرض من الفساد. قال تعالى: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ"[2] ﴾ وقال: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[3] إنه قانون التدافع الحضاري، إذ لولا أهل الحق الذين يصلحون ويمنعون شرور أهل الباطل، لاختل التوازن، وعم الخراب، وفسدت الأرض!!

والاختلاف بين المسلمين ضرورة شرعية وفكرية واجتماعية، اقتضتها طبيعة الدين والعقل. إن القرآن الكريم منه آيات محكمات، لا يمكن بحال من الأحوال الاختلاف حولها ، لأنها قطعية الدلالة، كوجوب الصلاة والزكاة والصيام..وغيرها، وأخر متشابهات، تتحمل الاجتهاد والتأويل العقليين، مثل: آيات العدة والوصية والميراث...وغيرها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى سنة الرسول ﷺ إذن، فطبيعة فهم القرآن الكريم والسنة النبوية سببان رئيسان للاختلاف المحمود بين المسلمين. ومن هنا كان الاختلاف رحمة وتنوعا، على عهد رسول الله، ومن بعده، وسوف يظل كذلك إلى يوم الدين

لقد وقع الاختلاف بين الملائكة[4]، مصداقا لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[5]، وصح في الحديث اختلاف ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في مصير الذي قتل مائة نفس ثم خرج تائباً.

وقد ثبت الاختلاف بين الأنبياء أيضاً، مثل: ما كان بين موسى وهارون. عليهما السلام. حول ما ابتدعه بنو إسرائيل في غياب نبيّهم موسى [6]، واختلف داود وابنه سليمان . عليهما السلام . حول حكم الغنم إذا نفشت في زرع القوم[7]، واختلف موسى والخضر عليهما السلام، حول نقاط ثلاث مشهورة[8]، وتحاج موسى وآدم –عليهما السلام–

واختلف أصحاب رسول الله ﷺ في حياته ولم ينكر عليهم ذلك، بل أحيانا يقر هذا وذاك على الصواب، مثل إقراره لصلاة الفريقين في بني قريظة، وإقراره لصلاة الصحابيين اللذين كانا على سفر، حيث أعاد أحدهما بعد أن وجد الماء في الوقت ولم يعد الآخر.

كما اختلفوا حول أسرى بدر، ومصالحة غطفان في غزوة الخندق، وفي حادثة الإفك، وفي صلح الحديبية، وفي الخروج وعدمه لملاقاة المشركين في غزوة أحد، وفي التزام الرماة بالبقاء في مواقعهم والمشاركة في جمع الغنائم، وفي رفع الحدث الأكبر بالتيمم، وقراءة البسملة، وحول تقسيم الغنائم بين المهاجرين والأنصار...

كما اختلفوا بعد مماته حول قضايا كثيرة، منها: اختلافهم حول دفنه ﷺ وموته، وأرض فدك، وإنفاذ جيش أسامة بن زيد وتأميره على الجيش، وجمع القرآن، وقتال المرتدين ومانعي الزكاة،

وسهم المؤلفة قلوبهم، وتولي الخلافة، ومراعاة السبق في الإسلام في توزيع العطايا، وتقسيم أرض السواد، كما اختلفوا حول العدة، والإيلاء، والنفقة والسكنى للبائن، وميراث الجد مع الإخوة، وميراث الجدة ، وجلد شارب الخمر، والطلاق بالثلاث،والغسل، وما ينقض الوضوء، ومئات القضايا حول فهم الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية. يقول ولي الله الدهلوي: "وقد كان في الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من يقرأ البسملة ومنهم من لا يقرأها، ومنهم من يجهر بها، ومنهم من لا يجهر بها، وكان منهم من يقنت في الفجر، ومنهم من لا يقنت في الفجر، ومنهم من يتوضأ من الحجامة والرعاف والقيء، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من مس الذكر ومس النساء بشهوة، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ مما مسته النار، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومنهم من يتوضأ من أكل لحم الإبل، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك "[9]

ثم يضيف قائلا: ورغم ذلك؛ فقد كان بعضهم يصلي خلف بعض،فقد كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي، وغيرهم، يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وغيرهم، وإن كانوا لا يقرؤون البسملة لا سرا ولا جهرا، وقيل للإمام مالك: هل تصلي خلف من خرج منه الدم ؟ فقال: كيف لا أصلي خلف الإمام مالك، وسعيد بن المسيب؟ [10]

وصلى الشافعي قريبا من مقبرة أبي حنيفة؛ فلم يقنت تأدبا معه.[11]

انظر كيف تختفي أمراض النفس المقبوحة، فلا حسد، ولا غلَّ، ولا غيرة، لقد طواها دفء الأخوة الصادقة، وأذابها القصد الكريم، والمطمح النبيل، إنها الهمم والنفوس الطامحة الكبيرة، التي لا تلوي على الهباءة والقذاة، إن النفوس المبصرة تشرئب دوماً إلى نور الله الوضَّاء، وتسمو عن دنيا الخفافيش وهوامّ الليل، إنها تطمح دوماً إلى الوصول إلى عالم الطهر والفيض، لهذا وذاك طهرت نفوسهم وتضوعت أريجاً طيباً. فالنفس الطيبة لا يصدر عنها إلا الريح الطيبة.

لما بدأت مظاهر الحيدة والتنكب تظهر في دنيا المسلمين؛ لاحظ كيف تتغير النفوس وتأسن، يقول أبو حامد الغزالي" فانظر إلى مناظري زمانك اليوم، كيف يسودُّ وجه أحدهم، إذا اتضح الحق على لسان خصمه ؟ ! وكيف يخجل به ؟! وكيف يجهد في مجاهدته ؟! وكيف يذم من أفحمه طول عمره" (12).

لا أدري ماذا يقول أبو حامد الغزالي لو عاش بيننا الآن ورأى مظاهر الترف الفكري، إذ يتناطح العلماء نطاح الثيران الوحشية الفحولة، من أجل القشة والقذاة، ويديرون حولها موسوعة من التحليل والتحريم والتفسيق والترذيل والتقبيح،بل الاقتتال في كثير من الأحيان. وإلى جانب هؤلاء ظهرت ناشئة، حسبت نفسها غرة في جبين الدعوة، وقد ملأت حياة المسلمين بالفتن والعداوات والصراعات، ومن العجب أن نسمع ونقرأ أن مسلمين في بريطانيا يمنحون أصواتهم

لليهود والنصارى، مع وجود مترشحين مسلمين. ومن العجب أيضا أن يقول هؤلاء وأولئك عن إخوانهم في الدين: إنهم أخطر علينا من اليهود والنصارى والملحدين.

وحيال هذه الأوضاع المتردية، نطرح الإشكالية الآتية:

لقد سبقت الإشارة إلى اختلاف الملائكة والأنبياء، وأصحاب رسول الله ﷺ، في حياته وبعد مماته، وعلى منهجهم اختلف التابعون، ومن جاء بعدهم، قرونا مديدة، فكان اختلافهم رحمة وتنوعا، في ظله أقاموا أرقى حضارة إنسانية، وشادوا دولا قادت البشرية أدهرا متطاولة، وفي ظله كان المختلفون ينظر بعضهم إلى بعض كناشد الضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه ومخالفه معينا لا خصما، بل ويشكره إذا عرفه الخطأ، وأظهر له الحق.[13]

.فكيف يكون الاختلاف هنا رحمة وتنوعا ووئاما، وفي عهود الانحطاط، وفي عصرنا الحديث نقمة وخصومات، وفتنا كقطع الليل المظلم ؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات:

.كيف يكون رحمة وقد كان سببا في انهيار ممالك وسقوط دول إسلامية عظمى ؟

.هل الاختلاف هو السبب أم أن هناك اختلافين: محمود وآخر مذموم ؟

. وهل الاختلاف لا يزال يلعب ذلك الدور في ظل العولمة والمتغيرات العالمية الجديدة ؟ وما أثر ذلك ؟

.وكيف يتم تصحيح الخلل ؟

أثر الاختلاف المذموم في الانهيار الحضاري للأمة:

يبدو للباحث بعد لأي أن الفارق بين اختلافنا واختلاف السلف، أن اختلافهم كان اختلافا محمودا، واختلافنا.عموما.صار من باب الاختلاف المذموم، الذي لا ينضبط بالضوابط الشرعية والعلمية...

ويذم الاختلاف بأحد ثلاثة أمور:

الأول: إذا كان حول المحكم "القطعي" وهذا هو معنى القاعدة الأصولية التي تقول:لا اجتهاد مع النص، ومن ثمة لا اختلاف حوله.

الثاني: إذا خالف ما أجمعت عليه الأمة.

الثالث: إذا خرج عن ضوابط وآداب الاختلاف ، حيث إن للاختلاف موسوعة من الآداب السامية، لا يكون العالم عالما إلا إذا فقهها وحذقها، وقد أسهب حولها علماؤنا في الحديث، إلى درجة أنهم أفردوا لها علما كاملا مستقلا بها، يسمى (آداب البحث والمناظرة) وما تنكبت الأجيال اللاحقة، وتكاثرت عثراتها، ونكباتها إلا بعد أن هجر أبناؤها هذا العلم وهذه الآداب السامية.

لقد ورث جيل "خير القرون" العلم معطرا بالأدب القرآني والأدب النبوي، فكان بحق خير أمة أخرجت للناس، وظلت الأمة على ذلك الشموخ، حتى منتصف القرن الرابع الهجري، حيث بدأت حوادث الليل والنهار تنقص من أطرافها ، حتى أوردتها موارد البوار، وجرعتها كؤوس الخزي والخذلان، فأغلق باب الاجتهاد، وفشا التعصب المذموم للمذاهب والأشخاص، وتصدر كثير من المتعالمين والمتفيهقين حلق العلم، ومناصب الإفتاء، فنجم عن ذلك شر مستطير، أصاب الأمة في مقاتلها يوم أن صارت عدوة لنفسها، أي أن الفتنة والتنازع باتا ينخران الأمة من داخلها وليس بأيدي أعدائها، وهذا ما حذر منه القرآن أشد الحذر، قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[14].

خاصة إذا كان التنازع بين العلماء والفقهاء. يقول عبد الله بن المبارك: يا علماء البلد أنتم ملح البلد فمن يصلح الملح إذا فسد ؟

ولعل كثيرا من علماء اليوم الذين يسهمون في إلهاب نار فتنة الاختلاف المذموم هم على شاكلة من قال عنهم بشر بن الحارث: "كيف يدعي هؤلاء العلم وهم يتغايرون على الدنيا، ويتحاسدون عليها...ويحكم يا علماء..، أنتم ورثة الأنبياء، وإنما ورثوكم العلم فحملتموه وزغتم عن العمل به، وجعلتم علمكم حرفة تكسبون بها معاشكم، أفلا تخافون أن تكونوا أول من تسعر به النار".[15]

وقال في موضع آخر:" وقد صار العلم إلى قوم يأكلون به".[16]

إذا كان هذا الصنف موجودا في زمن بشر بن الحارث، فماذا نقول نحن اليوم، وقد طال بنا الأمد، وباعدت الدهور بيننا وبين السلف الصالح ؟

انظر إلى حال الأمة كيف يفسد حالها تماما حينما يفسد علماؤها، وانظر كيف يتداعى عليها الخراب، ويسارع إليها المحق والانهيار.

ففي طور الانحطاط سئل فقيه شافعي عن الطعام وقعت فيه قطرة نبيذ، فأفتى أنه يُرمى إلى كلب أو حنفي!! واستفتي فقيه حنفي في زواج حنفي من شافعية، فقال يجوز، ولكن ليس على أنها مؤمنة، ولكن بقياسها على الكتابية التي تجوز للمسلم باتفاق[17]!!

في دور الجمود والضعف بسط الحنابلة أيديهم على أصحاب الشافعي حتى لا يمكنوهم من الجهر بالقنوت، ولما زالت شوكة الحنابلة استطال أصحاب الشافعي على الحنابلة استطالة السلاطين المستبدين، وآذوا الفقهاء والعوام متهمين إياهم بالتجسيم !!.

إن أبا نصر الواعظ بالنظامية، كان يذم الحنابلة ويتهمهم بالتجسيم، فرموه يوماً بالحجارة، وتقاتل الشافعية والحنابلة بسببه، ووقع بينهم قتلى وجرحى وحرق ونهب!!

إنه في الوقت الذي كانت فيه الأمة تتفتت من الداخل، وتتحلب فيه أنياب القوى الخارجية استعدادا للانقضاض عليها، كان صنف من علماء المسلمين منشغلا بقضايا فرعية، ومن أمثلة ذلك:

. قال حنفي في ماء البئر النجس الذي عجن بمائه.. يلقى العجين للكلاب، أو يعلف للماشية، أو يباع لشافعي[18].!!

. وقال القاضي الحنفي: لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية [19].!!

. وقال ابن إدريس: إني لأشتهي من الدنيا: أن يخرج من الكوفة قول أبي حنيفة، وشرب المسكر، وقراءة حمزة [20]..!!

. وقال يزيد بن هارون: ما رأيت قوما أشبه بالنصارى من أصحاب أبي حنيفة [21].!!

. وقال آخر من لم يكن حنبليا فليس بمسلم [22] !!

. وقال متعصب حنفي: فلعنة ربنا أعداد رمل .. على من ردّ قول أبي حنيفة[23] !!

. ونسب يوسف بن أسباط إلى أبي حنيفة قوله: لو أدركني رسول الله ﷺ وأدركته لأخذ بكثير من قولي[24]!! حاشا أبي حنيفة.

إذ ذاك كان الصليبيون يرقبون الأحداث عن كثب، ويعدون العدة للإجهاز على بيت المقدس!!.

حتى لما أحاطت بهم خطيآتهم، ووقفت بساحتهم المنايا، وجاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر، وبات الصليبيون على مشارف إنطاكية؛ ظل الصراع محتدماً بين الملكين الأخوين: رضوان ملك حلب، ودقّاق ملك دمشق، بسبب أن ملك حلب طمع في دمشق ليضمها إليه، لقد وقف الأخوان يتفرجان على حلب وهي تقاوم وحدها الغزاة الصليبيين ، حتى سقط الكل بما في ذلك بيت المقدس، فاكتسح الصليبيون الحضارة الإسلامية واستباحوا ديار الإسلام[25].!!

وبنفس السيناريو الدرامي سقطت أشبيلية ، وغرناطة...حيث ورث خلافة بني أمية في الأندلس أكثر من عشرين حاكما من ملوك الطوائف، موزعين على أكثر من عشرين مدينة، مزقتهم خلافاتهم وعصبياتهم الموزعة بين العرب والبربر والصقالبة، لقد "انشغلوا بحروبهم الداخلية، وباستعداء النصارى ضد بعضهم البعض، وتسابقوا إلى كسب النصارى، وامتهنوا في ذلك كرامتهم وكرامة الإسلام، فدفعوا الجزية وتنازلوا طوعا عن بعض مدنهم للنصارى، وحاربوا في جيوش النصارى ضد المسلمين من إخوانهم في المدن الأخرى من أرض الأندلس الإسلامية "[26]!!

وإلى وقت قريب مع الهجمة الاستعمارية الحديثة على العالم الإسلامي، كان كثير من المساجد

قد تعددت فيها المحاريب، مثل: الأزهر الشريف، والمسجد الأموي ومسجد الشيخ محيي الدين ابن عربي بدمشق، وكل جماعة تصلي على مذهب إمامها، بل حتى في أثناء اشتباك الأمة مع الاستعمار، اشتباك حياة أو موت، رأينا فريقا من العلماء يفضل معركة أخرى بين الإخوة، ويرى أنها ذات أولوية من مقاومة المستعمر، فبعيد الوقت القريب الذي احتفلت فيه فرنسا بمرور مائة عام على احتلال الجزائر، وما صحب ذلك من غمز ولمز في كرامة الجزائريين، نجد فيه حرب السباب والشتائم المقذعة بين جريدة "المعيار" التي كان يصدرها الصوفية، وبين جريدة "الجحيم" التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين. وسوف أقدم هنا نموذجا واحدا، على مدى الانحدار الذي انزلقت إليه الجريدتان في ساعة العسرة، وهما تريان أن ذلك من جهاد الدعوة، جاء في شعار جريدة المعيار ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ﴾ وتقصد بالفجار جمعية العلماء، ومما جاء في عددها الأول: "لأن عقارب السوء لا تكف عن البداية بالعدوان إلا بإكرامها بين النعل والثرى، وأن هؤلاء الأوباش لا يرجعون..إلا عندما يعرفون أن الأمة تنبهت إلى مساويهم وأنهم أصبحوا في نظرها بؤرة كل فساد ومصدر كل فتنة" (27). وترد عليها جريدة الجحيم: "وقد ظهر في هذه الأيام رهط ينتسبون إلى الجنس البشري وهو يتبرأ منهم، هؤلاء الخنازير اتخذوا الشتم وثلب الأعراض حرفة، وقذف أهل العلم.. "(28)!!

ونحن نتساءل هنا: هل هذا هو فقه الأولويات الذي علمنا إياه العليم الحكيم ورسوله الكريم ﷺ؟ لا شك أن المستفيد هنا وهناك هو الاستعمار والتخلف معا.

وفي هذا المجال يقول محمد عبده: (وقد خالفنا النصوص فتفرقنا وتنازعنا وشاق بعضنا بعضا بشبهة الدين، إذ اتخذنا مذاهب، كل فريق يتعصب لمذهب ويعادي سائر إخوانه المسلمين لأجله، زاعما أنه ينصر الدين وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين، هذا سني يقاتل شيعيا، وهذا شيعي ينازل إباضيا، وهذا شافعي يغري التتار بالحنفية، وهذا حنفي يقيس الشافعية على الذمية، وهؤلاء مقلدة الخلف يحادون من اتبع طريقة السلف" (29).

إن الانشغال بصغائر الأمور لا يدفع أبداً نزول عظائم الخطوب. إن الجيوش الإسلامية لم تتمكن من فتح القسطنطينية إلاّ بعد أن انتشر النقاش البيزنطي، لقد كانوا منشغلين بقضية أيهما أسبق البيضة أو الدجاجة؟ وموعد الساعة..، ولم يلبثوا حتى فاجأهم محمد الفاتح، ودكّ عليهم أسوار القسطنطينية!!

وظل حكّام مصر منشغلين بعبارة من (نابليون) الواردة في رسالته، هل هي ممنوعة من الصرف أو لا؟ حتى باغتهم بحملته المشهورة.

أثر الاختلاف المذموم في التعويق الحضاري في ظل العولمة.

سبحان مغير الأحوال من حال إلى حال، كيف أن التاريخ يعيد نفسه، وكيف أن لله سننا لا تحابي ولا تجامل، حتى وإن كان المخالف هي خير أمة أخرجت للناس، فالأمة لما أعرضت عن ذكر ربها، وذهلت عن دينه ، وبات بأسها بينها شديدا، صارت إلى مصائر الذين تشبثوا بالقشة، وتركوا قارب النجاة حين الغرق، فأحاط بهم الموت من كل مكان.

إن العالم اليوم . في ظل العولمة . يتوحد ويتكتل وإن تباعدت أقطاره، وتباينت عقائده ونحله، فهذا تكتل اقتصادي حضاري يسمى "نافتا"، يضم كلا من: أمريكا وكندا والمكسيك، وذاك تكتل آ خر يضم مجموعة السوق الأوربية المشتركة، تتحد فيه ما يقارب ثلاثين دولة، يوحد العملة ويلغي التأشيرة، ويلغي الحدود الجغرافية. وذلك تكتل آخر يضم الدول الآسيوية يسمى "يافتا" بقيادة يابانية صينية، بعد أن دفن القوم أحقادهم التاريخية، وتناسوها، وهذه ألمانيا توحدت، وتلك هونج كونج تعود إلى الصين، وتلك جمهوريات البلطيق تعود إلى الحظيرة الأوربية، وأوربا الشرقية تنضم إلى السوق الأوربية المشتركة، وتنخرط في حلف الناتو، وذلك تكتل سياسي اقتصادي يضم روسيا والصين والهند...

يرى الدكتور مهدي المنجرة أن أي تكتل يقل عدد سكانه عن 150 مليون نسمة سوف يتفكك مع نهاية القرن الواحد والعشرين.

أما مسلمو اليوم فقد وقفوا يتفرجون على المشهد، الذي يزداد تفاقما يوما بعد آخر، وكأن الأمر لا يعنيهم.

فقد اقتطع الاتحاد السوفييتي أرض التركستان والجمهوريات الإسلامية، واقتطعت الصين تركستان الشرقية "سينكيانج"، واقتطع الأنجليز من إندونيسيا سنغافورة، وتيمور الشرقية، واقتطعت الهند من باكستان كشمير وبنغلادش، واحتلت إسرائيل فلسطين، والضفة الغربية وسيناء والجولان، واقتطعت أمريكا وإسرائيل جنوب السودان، وإقليم دارفور وآبيي يحضران على صفيح ساخن ليلقيا نفس المصير، واحتل العراق وأفغانستان، وتشر ذ مت الصومال، واستبيحت مالي وإفريقيا الوسطى، وتنصرت أثيوبيا، وآلت إريتريا إلى سلطة صليبية، وقسمت البوسنة والهرسك بين الصرب والكروات . وفق اتفاق دايتون . ومن قبلها ضاعت رومانيا وبلغاريا وألبانيا وأرمينيا وأذربيجان وقبرص...ويحضر اليوم دهاقنة السياسة مشاريع بالغة الالتواء، لتفتيت المنطقة العربية، مثل: الشرق الأوسط الكبير، والسوق الشرق أوسطية، وسايكس بيكو جديدة، ووعد بلفورجديد، وإسرائيل الكبرى، وصدام الحضارات، وحلف الناتو، وقوات التدخل السريع، واتفاقية الغات... لقد بلغ مسامعنا من تهديدات أقطاب النظام العالمي الجديد ما تنخلع له القلوب، ورغم ذلك

يستمر الاستغراق في الصغائر وسفا سف الأمور.

يقول ريتشارد نيكسون:(الرئيس الأسبق لأمريكا): " إنه بعد سقوط الشيوعية، فإن المسلمين في العالم هم العدو الجديد"[30]..ثم يضيف واصفا الإسلام بأنه" غير متحضر ودموي"[31]..

وينتهي به الحنق على الإسلام إلى هذا الوصف المنفر، حيث يقول: "إن الغرب يرى أن المتعامل مع الإسلام يشبه وضعه وضع الشخص الذي يعيش في حفرة ضيقة ومعه مجموعة من الثعابين السامة"[32]. ويرى كل من: جون ما يجور، ومارغريت تاتشر، وبرنارد لويس، وصموئيل هنتجتون، وجيانيديميكليس، وويلي كلايس، وجوديث مور، أنه بعد اختفاء الشيوعية أصبح الإسلام هو العدو الجديد.

ألا فليسمع كل مسلم هذه التصريحات الصادرة عن أقطاب النظام العالمي الجديد، وليتأمل جيدا في التهديد والوعيد، ثم ينظر إلى حال الأمة الغائبة عن الوعي...

سمع الشيخ الغزالي مناديا ينادي: ولد تائه يا أبناء الحلال، فبكى، وقال: أمة تائهة يا أبناء الحلال !!

ما أشبه الليلة بالبارحة، ففي الوقت الذي تتعرض فيه الأمة لحرب استئصاليه خسيسة من طنجة إلى جاكرتا؛ نرى صنفا من العلماء منشغلا بحرمة لحم الدجاج الذي تناول حبوب منع الحمل[33]، وجواز أكل لحوم الجن، وحكم الخل، والكولونيا، ورضاع الكبير، وربطة العنق، وحرمة الجلوس على الكرسي الذي سبق أن جلست عليه امرأة[34]، وحكم تعلم الكتابة والحساب[35]، والساعة الحائطية، والساعة بين الساعد الأيمن والأيسر، والاستعداد للحج بإعداد الراحلة والعلف، وبطلان العقد بين الزوجين إذا تجردا كليا من لبساهما أمام بعضهما[36]، ووجوب الطلاق على من رأى أنه طلق زوجته في المنام،.. وإسهاب الحديث عن مواصفات العبد المعتق في الكفارات،[37]، وحكم إهداء الزهور، وتعلم اللغة الإنجليزية، وحكم التصفيق، وحكم وجود الحكم في لعبة كرة القدم[38] وحكم تعليم الفتاة بعد السنة السادسة ابتدائي، وحرمة حلق شعر الرأس حتى وإن كان عاما [39]، وغدير خم، ومصحف فاطمة، وانتظار عودة الإمام المختفي، ومن هو أبو البشر، هل هو آدم المذكور في القرآن أم يوجد آدم آخر؟[40]، وعدم جواز لعن الشيطان، وكراهية قراءة سورة عبس، وحرمة السُكَر، وحكم الاستياك بإصبع الزوجة والصديق، وحكم ابتلاع بزاق الزوجة والصديق في الصيام، وتناول اللحم الذي ضرب فيه الدود في رمضان[41]، وحكم نقض الوضوء بلحم الجزور[42]، وتحريم الذهب المحلق، وتحريم مشاهدة اللاعب ميسي، وجواز معاشرة الزوجة الميتة، وتحريم مشاهدة الرسوم المتحركة، وضرورة تهديم تمثال أبي الهول، وأهرامات الجيزة، وتمثال بوذا، وتحريم

المشاركة في الرحلات الفضائية، وشيطنة رواد الفضاء...

وبجوارهم عشرة آلاف مسلم يذبحون ويدفنون أحياء في مجزرة "سيبرينيتسة" وعلى مرآهم دول عربية وإسلامية تحتل وتنتهك سيادتها، وغزة تقصف بالفسفور الأبيض، فتستغيث ولا مغيث، بل وجدنا من يغيث أهل فلسطين، بفتوى وجوب الهجرة من فلسطين[43]!! ليخلو الجو لليهود.

لقد أ غلق مركز إسلامي في أمريكا بسبب تهارش المصلين حول قراءة القنوت... ومنح مسلمون أصواتهم الانتخابية -في بريطانيا- لليهود والشيوعين على حساب مرشحين مسلمين[44]... بل وقع اقتتال بين الإخوة بسبب خلافات تافهة، وتم تفجير المساجد والحسينيات.. يقول محمد رشيد رضا:" وقد وقع من الفتن بين المختلفين في الأصول وفي الفروع ما سود صحف التاريخ، من ذلك أن بعض الحنفية من الأفغانيين، سمع رجلا يقرأ الفاتحة وهو بجانبه في الصف فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على ظهره فكاد يموت. و بلغني أن بعضهم كسر سبابة مصلّ لرفعه إياها في التشهد، وقد بلغ من إيذاء بعض المتعصبين لبعض في طرابلس الشام أن ذهب بعض شيوخ الشافعية إلى المفتي وقال له: قسم المساجد بيننا وبين الحنفية، فإن فلانا من فقهائهم يعدنا كأهل الذمة."[45]

وفي هذا الوقت العاصب؛ نرى صنفا عريضا من علمائنا تناسى رساليته، فبدل أن يصلح ما فسد، ويرشد ما شطط، راح يلهث وراء الدنيا، يعب منها عبا، ويشرب من لذائذها شرب الإبل العطاش، لا يفتر لسانه عن الحديث عن: العلاوات، والترقيات، والمنح، والتربصات في الخارج، والساعات الإضافية، وزيادة الأجور، والمردودية، ومنحة الإشراف والمناقشة ووحدات البحث، والمناصب الإدارية والبيداغوجية، والتغاير والتحاسد عليها، والإعارة للعمل في الخارج..

لعل هذه الفقرة التي ننقلها عن الدكتور أحمد الريسوني، خير ما يعبر به عن واقع جلة علماء ودعاة اليوم. يقول: بحكم اختصاص وعلاقات صديقي الذي زارني، بعد رحلة مطولة إلى مصر، التقى فيها بعشرات من العلماء المصريين: أزهريين وغيرهم " وكان مما لفت انتباه صديقي وآلمه، أن عددا غير قليل من هؤلاء العلماء مهمومون ومشغولون بدرجة كبيرة بالعلاوات والإكراميات، والبعثات، ومشغولون بهاجس البحث عن فرص ومنافذ إضافية للكسب والتمول "!![46]

ثم يقول: "ومن الأضرار الناتجة عن آفة التورق والجري وراءها، أن بعض هؤلاء العلماء المتورقين يلجون كل باب يفضي إلى التورق والزيادة منه، فتتعدد وظائفهم والتزاماتهم وتتراكم، حتى لا يستطيعوا القيام بأي واحدة منها على ما يرام. فتجد أحدهم موظفا عموميا، ثم هو خطيب جمعة، وواعظ محلي ودولي، وهو عضو بالمجلس العلمي، أو رئيس له، أو ساع لرئاسته،

وتجده في بعثة الحج، ومع المعتمرين في رمضان، أو تجده في ضيافة الجالية المقيمة بالخارج، ثم هو يبحث ويقول هل من مزيد ؟ "(47)

في ظل العولمة، و انتهاء الحرب الباردة، انطفأت جذوة الحروب في كل أنحاء العالم، بينما استعرت في بلاد المسلمين: غزة، وسوريا، والعراق، وأفغانستان، والسودان، والصومال، واليمن، وليبيا، وباكستان، والبوسنة والهرسك، ونيجيريا، ولبنان، ومالي، وكشمير، والشيشان.. وافترقت الأمة إلى ستين دولة، كل حزب بما لديهم فرحون، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

لقد امتدت أذرع الاختلاف في مجتمعاتنا الإسلامية – طولا وعرضا– حتى فرقت بين الوالد وولده. والأنكى والأشد؛ أن يمتد هذا السعار إلى العلماء –عموما– والدعاة والمصلحين خصوصا. حيث ظهرت التنظيمات والتجمعات المتنازعة المتخالفة، فرزئت الدعوة بصنف من الدخلاء على العلم والفقه، لا يعرفون إلا رأيا واحدا ولا يعرفون سواه، ثم يقولون: هذا هو الدين ولا دين سواه، ونكئت الساحة الإسلامية بعبارات: التفسيق، والترذيل، والتضليل، والتبديع.

كل هذه الغثائية، وهذا الانقسام، والتشرذم والتشظي؛ يلعب فيه الاختلاف المذموم دور الشرارة في اللهب.

لقد بدأنا نرى أعراض الوهن والاعتلال تلازم كثيراً ممن اعتبروا أنفسهم غرة في جبين الدعوة والإصلاح، وغالبيتهم لا تعرف إعراب جملة من القرآن، ثم يقولون عن السلف الصالح وأئمة الهدى: "هم رجال ونحن رجال!!" بمعنى، كما جاز لأولئك أن يجتهدوا، فلنا الحق أن نجتهد كما اجتهدوا.لقد قرأنا والقلب يتقاطر حسرة وألما كلام من يضلل البخاري، وينزله منزلة أصحاب البدع والأهواء [48] وانبنت على هذا دعوة أخرى تدعو إلى تطهير البخاري ومسلم، وإعادة النظر فيهما.[49]

بل سمعنا من يقول: " أنه يبول ـ أكرمكم الله ـ على القواعد الأصولية للإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ "[50] !!!!

ففي الوقت الذي تتعرض فيه الأمة الإسلامية لحرب نفسية شعواء من طنجة إلى جاكرتا؛ نرى هذا الصنف المحسوب على الدعوة منشغلاً وشاغلاً غيره بما لا طائل فيه.

أناس منشغلون بمعرفة حكم أكل لحم الدجاج الذي تناول حبوب منع الحمل!! وبجوارهم مليون ضحية من أطفال العراق يموتون موت البهائم الضالة!! وخمسة ملايين يتيم، منهم نصف مليون يتيم الوالدين، وحوالي ثلاثة ملايين لا يذهبون إلى المدرسة، ومليون وعشرة آلاف أرملة... إن هذه المشاهد الداكنة، والانفصام النكد يذكرني بخمسة مشاهد مؤلمة في تاريخ أمتنا:

المشهد الأول: في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تجهز على الخلافة الإسلامية، وتستأصل جذور الدولة العثمانية بقيادة الكولونيل الجاسوس لورنس، كان صنف من العلماء يرفع عقيرته

مستغيثا متضرعا: "وا محمداه، وا إسلاماه، وا قرآناه، ضاع المسلمون، وضاع الإسلام، لقد تركوا جمال محمد، وخيل محمد...وركبوا القطار، وا إسلاماه على ترك السنة المحمدية. انتظروا الساعة، لقد ترك المسلمون ما ركبه موسى وعيسى والأنبياء من قبل وركبوا القطار"(51) وكانوا يطلقون على القطار "بقرة عبد الحميد" ولم يهدأ لهم بال حتى أعانوا لورنس على تخريب السكة الحديدية، التي كانت ممتدة من اسطنبول إلى الحجاز، لنقل الحجاج، والبضائع، والعساكر، ولم تطمئن نفوسهم وتهدأ حتى استخلصوا بيت المقدس من أيدي العثمانيين وسلموه للإنجليز، وفق اتفاقية سايكس بيكو، ووعد بلفورر المشؤوم، ورعاية الشريف حسين وأولاده، ألا ما أقسى وقع أحكام ومخازي التاريخ على الأخلاف !!

المشهد الثاني: في الوقت الذي طورت فيه أوربا جيوشها، وتحفزت روسيا للهجوم على القسطنطينة، وأظهرت بريطانيا أطماعها، وهاجمت فرنسا مصر، وبدأت الثورة في البلقان، وأحدقت الخطوب بالدولة العثمانية؛ قرر السلطان العثماني سليم الثالث، تطوير الجيش الانكشاري، وذلك باقتباس بعض النظم، والأسلحة الغربية الجديدة، فما كان من رجال الدين، ومعهم شيخ الإسلام، إلا أن وقفوا في وجهه وقاوموه وحرضوا عليه العامة، بدعوى التشبه بالإفرنج، فانهزم وخلع، ثم قتل.[52]

المشهد الثالث: في الوقت الذي قام فيه السياسيون بإعداد مشروع وحدة عربية بين مصر والعراق؛يطلع كاتب مغرض ويصدر كتابا ينال فيه من فئة عربية كبيرة من الشيعة عموما، وشيعة العراق على وجه الخصوص..وينتهي المشروع بالفشل.[53]

المشهد الرابع: عجز الخديوي توفيق أمام مطالب ثورة عرابي، فاستعان بالإنجليز، فوقعت مصر تحت الانتداب البريطاني.[54]

المشهد الخامس: في الوقت الذي كان فيه القياصرة والبلاشفة يستولون على ملايين الكيلومترات من بلاد البخاري ومسلم، مستخدمين الأسلحة الحديثة، كان الخلاف التافه على أشده بين الإخوة الأعداء حكام قازان، وكان روادهم يصيحون:"لن نقاتل إلا بسلاح قاتل به رسول الله ﷺ". (55)

إنه يوم أن كان المنجل والمطرقة ينزلان على رؤوس ورقاب أحفاد البخاري ومسلم، كان كثير من علمائنا يضعون رؤوسهم ورؤوس الشعوب الإسلامية في الرمال. بل ياليتهم اكتفوا بذلك فنجد لهم المعاذير، لقد فضل كثير منهم الدخول في معارك وهمية، فهذا فتح معركة مع الصديق أبي بكر والفاروق عمر ـ رضي الله عنهما ـ وهذا فتح معركة مع معاوية ويزيد وبني أمية، وذاك أخرج رفات وجماجم سلف الأمة، وأدار وسطها معركة حامية الوطيس، وذاك تقوس ظهره

لطول انكبابه على كتب التراث ليخرج علينا بتآليف الشاذ والغريب، وذاك عمد إلى مقابر المسلمين فتميزت له مقابر المعتزلة والأشاعرة والمرجئة والخوارج والجهمية، فوقف عليها يناظر أصحابها الواحد تلو الآخر فأفحمهم جميعا، بحجة بالغة ولسان مبين، بأسلوب جدلي يتصاغر أمامه الجويني والباقلاني والرازي والغزالي وابن رشد وابن حزم والشهرستاني... إذ ذاك كان القياصرة والبلاشفة قد انتزعوا من تحت أقدام المسلمين أكثر من21 مليون كلم 2 !!

إنه التاريخ يعيد نفسه، ففي الوقت الذي طور فيه الأعداء أنفسهم، وأسلحتهم، كان المماليك يقولون: "إننا نحن المسلمين ورثنا عن ديننا الحنيف ونبينا محمد ﷺ تعاليم الفروسية من سيف ورمح فلن نستخدم غيرها " (56)

يورد الشيخ الغزالي ظواهر أخرى غريبة، لا يمكن أن تكون بريئة أو وليدة صدفة، يقول: "عقب محاضرة كنت ألقيها بالشمال الأفريقي، رفع أحد الشباب يده ليسأل ما حكم الشرع في الخل؟ وبعد أيام وبينما كنت أحاضر في إحدى دول الخليج وإذا بشاب يسأل السؤال نفسه!!"(57).

والغريب أن الكاتب علّق على هذا السؤال بقوله: "وإذا كنت أسمعه الآن في غرب آسيا بعد شرق أفريقيا، فلا بد أنه مع أسئلة أسخف سوف يصدر للهند والسند وغانا" (58)، وهذا الذي حدث بالفعل، فقد سئلنا هذا السؤال في دولة من غرب أفريقيا.

ومن شمال أفريقيا وغربها وعمقها، إلى منطقة الخليج وشرق آسيا وأوربا وأمريكيا، ينتقل هذا الصنف من الناس حاملاً معه هذه البضاعة.

يقول الدكتور حسان حتحوت: بينما كنت أحاضر بأمريكا عن مؤتمر القاهرة للسكان، مبينا خطورة اللوائح المقترحة(59) على شعوب العالم الثالث عموماً، والعالم الإسلامي خصوصاً، "وفيما تهيأت للانصراف بعد المحاضرة؛ هرول ورائي أحدهم وعلى وجهه دلائل الحيرة والاهتمام العظيم... لقد جاء يسألني لماذا ألبس رباط العنق مثل الكفار(60) ؟ !! لقد انعقد مؤتمر السكان بالقاهرة بلد الأزهر الشريف سنة 1994 . بكل أسف . وخرج بقرارات خطيرة لتفكيك الأسرة المسلمة خاصة. ومن أخطر تلك القرارات:

. الدعوة إلى الزواج المثلي (ممارسة الشذوذ الجنسي المقنن)

. رفع سلطة الولي عن المرأة مطلقا.

. الإجهاض بدون ضوابط شرعية أو أخلاقية.

. تحرير العلاقة الجنسية، وإخراجها عن الأطر الدينية والخلقية...

كل هذا وغيره لا يستثير أعصاب السائل وتستثيره ربطة العنق !! إنها مساخر الأيام، ولا

حول ولا قوة إلا بالله، وإليه المشتكى.

إن هذه الحادثة وتلك تذكراني بالمنطق المقلوب الذي ظهر في تنطع الخوارج، فقبيل قليل من أفول نجم الخلافة الراشدة وبداية الملك العضوض، حدثنا التاريخ عن جماعة خرجت إلى مأرب لها، وفي أثناء السير وقعت تمرة من نخلة، فتلقفها أحدهم بفمه، وقبل أن يزدردها، صاح به صاحبه: كيف تأكلها بغير إذن صاحبها وقبل أن تدفع ثمنها.؟ فألقاها من فمه وأظهر الندم وراح يستغفر الله...، وبعد خطوات صادفوا عبد الله بن خباب وزوجه، فذبحوهما ذبح الخراف وبقروا بطن الزوجة عن جنينها[61]!! لقد توسلت الزوجة الحامل بألطف العبارات رحمة بالجنين الذي في بطنها، غير أن توسلاتها كانت صرخة في وادٍ !! لقد تملكهم الورع في تمرة، ولم يتملكهم في إزهاق أرواح الأبرياء. ومن عجب، أن هذه الفئة كانت تجير المشركين وتؤمنهم على دمائهم وأموالهم وتقتل المسلمين !!.

وشبيه بهذا المنطق منطق أهل العراق، حينما سألوا عبد الله بن عمر عن دم البعوض، فقال قولته المشهورة: "انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ"[62].

إنه الحصاد المر، مما بذرت أيدينا وروت سواقينا، ولم نتعهده بالرعاية الكاملة، بل تركناه لبهائم الليل ترتع أنى شاءت، وأسلمناه للأيادي الآثمة تميل به ذات اليمين وذات الشمال، لقد سمعنا الآثمين وهم يستولون على الحرث والنسل يقولون: هذه قطعان ذهب رُعاتها، ومراتع هلك أصحابها، وصبيان غر، لا عائل لهم ولا كفيل.

يقول طه جابر العلواني، معلقاً على الأمل المنكسر والرجاء الخائب: وإذا بكثير من الجهود تتفتت على هذه الصخرة المقيتة، فبدأنا نرى شباباً ينتسبون إلى المذهبية، وآخرين يدعون اللامذهبية، وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات المختلفة من التفسيق والنسبة إلى البدعة والانحراف، والعمالة والجاسوسية، ونحو ذلك مما لا يليق بمسلم أن ينسب أخاه إليه بحال من الأحوال[63].

أليس عاراً أن تقوم السلطات الأمريكية بإغلاق مسجد في المركز الثقافي الإسلامي في واشنطن بسبب تهارش المصلين حول الجهر بالبسملة و قراءة القنوت في صلاة الصبح!! [64]، يقول يوسف بن هاشم الرفاعي: "فاشتعل الخلاف في بلاد المسلمين. فهذا تابع لزيد وهذ العمرو...يحارب بعضهم بعضا، ويحرم الصلاة خلفهم، والزواج والتواصل فيما بينهم، ويقطع أواصر الدين، وقد شاهدت ذلك بنفسي و حضرت منع الخطيب من الخطابة في مسجد بأمريكا...فقام الشجار بين المصلين[65]. يقول القرضاوي:"ولكن الذي يدمي القلب حقا أن يوجد بين الدعاة والعاملين من لا يقدر هذا الأمر حق قدره، وأن يبذر بذور الفرقة أينما حل، وأن

يبحث عن كل ما يوقد نار الخلاف، ويورث العداوة والبغضاء،وتركيزه دائما على موضع الاختلاف لا نقاط الاتفاق، وهو دائما معجب برأيه، مزك لنفسه وجماعته، متهم لغيره"[66] ثم يقول: "ويكاد لا يمر علي يوم إلا وأتلقى فيه رسائل من أنحاء العالم الإسلامي، تشكو من الإخوة الذين لا شغل لهم إلا إثارة الخلاف، وتوزيع التهم على عباد الله، دون تقدير للواقع، ولا مراعاة للظروف والضرورات وما عمت به البلوى "[67]

رحم الله الشافعي، وجيل الشافعي لقد صلى الصبح قريبا من مقبرة أبي حنيفة ولم يقنت تأدبا معه [68]

ورحم الله أحمد بن حنبل، لقد سئل هل يصلي خلف من خرج منه الدم ولم يتوضأ ؟ فقال كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب.[69]

ولله در الشافعي وهو يقول: "ما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يظهر الحق على لسانه أو لساني"[70].

" ما ناظرت أحدا إلا على النصيحة، وما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئ " [71].

لله دركم يا رجال الله...

أليس عاراً أن يدخل في الإسلام صديقان إيطاليان لتتحول صداقتهما بعد ذلك إلى عداوة ولا يكلم أحدهما الآخر، لأن كلا منهما انضم إلى جماعة؟ أليس من العار أن يمنح المسلمون في بريطانيا أصواتهم لليهود رغم وجود مترشحين مسلمين بسبب خلافات ساذجة لا تضر دينا ولا تنفع دنيا؟.

أهذه هي الموضوعات الأليق بالنقاش والمطارحات الفكرية في ظل العولمة، والتكتلات الاقتصادية والسياسية والغطرسة الصهيونية؟ إنه لمن دواعي الحسرة والأسى حال أمة كانت تقود البشرية في أبهى عصورها الذهبية، ثم حافت عليها الليالي فهوت على رأسها من قمة الهرم، تتخبط في الوحل في ذيل مؤخرة الدول المختلفة، وأبناؤها منشغلون بالترف الثقافي، مولعون بصغائر الأمور وسفاسفها، ذاهلون عما تتعرض له أمتهم من محاولات استئصال.

لقد بحت أصوات المسلمات الحرائر في شتى بقاع الأرض، مستصرخات الضمائر الحية، لإنقاذ شرفهن من علوج الملاحدة والصهاينة، وكانت أصواتهن رجع صدى، لأننا منشغلون بسفاسف الأمور، إن سلوى أولئك الحرائر هي قول الشاعر:

قد أسمعت لو ناديت حيا ... لكن لا حياة لمن تنادي

إن أي امرئ يُشغل المسلمين عن واجباتهم الرسالية، إما أن يكون إمعة يمالئ العدو ويعينه على هزيمتنا، وإما أحمق يمثل دور الصديق الجاهل، ويخذل أمته من حيث لا يدري، وكلا الشخصين ينبغي الحذر منه والتنبيه عليه[72].

إنها النفوس إذا انطمست بصيرتها، وتجردت من الهمم الجليلة، قعدت عن المطامح النبيلة...،

وإذّاك ينشب التناطح على القشة والقذاة، قال الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

حينما يرى الإنسان عاملين في الدعوة بلغوا مرحلة الشيخوخة، وملأوا الدنيا بالكتابات في مثل هذه الموضوعات، ولا يجد حرفاً واحدا عن الصهيونية والشيوعية والصليبية والاستعمار والعولمة والتبشير والشورى والسياسة الشرعية والاقتصاد والتنمية والقضايا المصيرية للأمة... لا يملك إلاّ أن يضع يده على قلبه ويسأل الله اللطف فيما ستجري به المقادير.

"إن إثارة الخلاف بين المسلمين أو تنمية أسبابه خيانة عظمى لأهداف الإسلام، وتعويق لمسيرة الإسلام، وتشتيت لجهود العاملين المخلصين"(73).

لا أشك في أن تكون لهذه النماذج والأمثلة روافد من عصور الانحطاط، ولكن من جهة أخرى لا أستبعد رائحة المكيدة المحبوكة من طرف قوى الاستكبار العالمي، لينشغل الشباب المسلم عن هموم أمتهم وأوطانهم، وليبددوا وقتهم وجهدهم فيما لا طائل من ورائه، وليكون بأسهم شديدا بينهم، في الوقت الذي تمر فيه أمتنا بظروف لا تحسد عليها، ولعل المثال الذي سأشير إليه خير دليل على صدق ما أقول، إذ لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون بريئا... حيث تمكنت جماعة من المسلمين بطريقتها الخاصة في استحضار الأرواح من الاطلاع على ما في جهنم بعد الاتصال بعزرائيل وطلب الإذن منه!! فكان المشهد على النحو الآتي: صور لينين وستالين وهتلر يصطلون في درك جهنم، ثم يأتي في الدرك الأسفل منه إبليس، ثم شيخ الجماعة المعادية لتنظيمهم وجماعتهم في الدرك الأسفل من النار!، يقول صاحب الكتاب: يوم أن مات فلان سقط حجر أسود من جهنم على قبره، وقد كتب عليه اليوم مات مرمّل النساء وميتّم الأطفال، وسمع كل الناس صوتاً هائلاً..! هل هذه هي العقلية التي تجدد الدين وتنهض بالدنيا!!؟

لما ضاقت دنيا المسلمين بالخلاف راحوا يلاحقون بعضهم بعضاً في دركات جهنم، تاركين وراءهم جنة عرضها السموات والأرض!! ذاهلين عن هزائم الأمة الشائنة في المجال الاقتصادي، والعلمي، والسياسي !!

" وامتلأت قلوبنا بالأحقاد، حتى صار الواحد منا يحمل من الحقد على الآخرين من أبناء دينه وعقيدته مالا يحمله على أعداء أمته، من اليهود والصليبيين، لخلاف فكري أو اتجاه حزبي، أو... وصرنا بدلا من أن نلقن الناس مبادئ الحق التي سمونا وسنسموا بها، صرنا نلقنهم كيف يحترسون من زيد، ويحقدون على عمرو، ويتجنبون فلانا " (74).

ونختم الحديث عن الغلو والاختلاف بهذه العبارات المشخصة للشيخ محمد الغزالي: "والصغار دائماً يهتمون بالصغائر، فإذا رأيت من يهتم اهتماماً هائلاً بقبض اليدين في الصلاة أهو

فوق السُّرة أم على الصدر؟ ويستثير ذلك أعصابه أكثر مما يستثيره قتل عشرة آلاف مسلم في تشاد(*)، فاعلم أنك أمام مسخ من الخلْق، لا يُؤمَن على دين الله ولا دنيا الناس، وهذا النفر من المتدينين عبء على الأرض والسماء، والأمة التي تسلم زمامها إلى الإنسان المخبول إنما تسلمه لجزار، ودين الله أشرف من أن يتحدث فيه هؤلاء الحمقى "(75).

ألاّ ما أصدق قول رسول الله ﷺ: "إيّاكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين "(76).

والنتيجة؛ لا أشك لحظة واحدة في أن الاختلاف المذموم حول القضايا الفرعية، وما يترتب عليه هو العامل الرئيسي الذي كان وراء انهيار الأمم والممالك الإسلامية، الواحدة تلو الأخرى. إلى جانب عوامل أخرى. واليوم يؤدي نفس الدور في التخلف الحضاري للأمة، فقد صارت الأمة الواحدة ستين دولة، داخل حدود جغرافية، رسمها الاستعمار، على شكل قنابل موقوتة، يتحكم في تفجيرها عن بعد... تفجرها من الداخل مئات القوميات التي كانت بالأمس تحمل لواء الدعوة والفتوح الإسلامية، تنخرها ألوان شتى من الإيديولوجيات، والمذاهب ،، حتى أبناء الصحوة الإسلامية. بلا استثناء. وأنصار المشروع الإسلامي، متدابرون كل يغني ليلاه، يتقاذفون بمارج من عبارات التفسيق والترذيل، ويتبادلون السباب والتهم،

والنتيجة، أمة بائسة تزحف على بطنها في ذيل قافلة الركب الحضاري، تطمع فقط. في الوقت الحالي. في الانتقال إلى مرحلة الحبو وسط العمالِيق، في شتى النواحي:السياسية والاقتصادية، والعسكرية، والعلمية. وهنا استثني بعض التجارب الجنينية، التي أتمنى لها ولادة سعيدة.

ومن أبشع صور الاختلاف المذموم، الذي يزيد من تشرذم الأمة:

. مسلمون يدعمون جون غارينغ. الصليبي الحاقد. ليستقل بجنوب السودان، وقد فعل !!.

. مسلمون يدعمون انفصال دارفور عن السودان !!.

. زعيم حزب إسلامي سوداني يرى مشروعية تقسيم السودان إلى ثماني دول. !!

. مسلمون يتمنون اندحار أهل غزة أمام إسرائيل سنة:2008 و2014!!

. مسلمون ينسقون عسكريا مع إسرائيل ضد إخوانهم في غزة.

إن لله سننا لا تحابي أبدا، إنها كالظواهر الطبيعية، شروق يعقبه الغروب، وبرق يتلوه رعد، ومد يتبعه جزر، وخريف يتلوه شتاء وشتاء يتلوه ربيع...الأسباب والمسببات الواحدة تعطي نتائج واحدة، مثلا بمثل، مثلما تتبخر كل المياه عند درجة حرارة مائة، ومثلما تتمدد كل المعادن بالحرارة، الظاهرة الواحدة في تاريخ الأمة أعطتنا نفس النتائج.

إن المشاهد السابقة هي صورة طبق الأصل لعبد الله الصغير. آخر ملوم بني الأحمر. الذي

بلغت به الخسة إلى درجة أنه لما سقطت مدينة مالقة وتحول مسجدها الأعظم إلى كنيسة أرسل يهنئ فرديناند بذلك، لا لشيء سوى أنها كانت معقلا لعمه ومنافسه أبي عبد الله الزغل (77)!!

وصورة طبق الأصل للصالح إسماعيل أيوب حاكم الشام في عهد السلاجقة، حيث خان، وتحالف مع الصليبيين، وتنازل لهم عن بعض الحصون، وسجن سلطان العلماء العز بن عبد السلام. تزلفا. !!

وصورة طبق الأصل لابن العلقمي، والصالح أيوب، اللذين تحالفا مع هولاكو!!

.وهناك مئات الصور لا يتسع المقام للإشارة إليها.

أسباب العلة وعلاجها:

لاشك أن الورم الخبيث، تطاولت عليه الأيام والسنون فزادته تورما وخبثا، فأصبح قاتلا ماحقا، أسهمت في عنفوانه عوامل داخلية وأخرى خارجية، التقتا عليه عند نقطة الجمود والتخلف الحضاري... وتعميق توصيفها حديث ذو شجون، قد يتطلب بضعة أسفار، بيد أنه لمقتضى الحال، نوجز هذه الأسباب على عجل على النحو الآتي:

1. الاستعمار الغربي: الذي استولى على المنطقة العربية والإسلامية استيلاءً استيطانياً، حاملا معه شعار "فرق تسد " سيطر فيه سيطرة مطلقة على الناحية السياسية، والاقتصادية، والثقافية... فنتج عن ذلك تأخر المنطقة برمتها، فظهر الفقر، وفشا الجهل، وعمّت الأمية، إلى درجة أنه قد لا يجد الإنسان في مدينته أو قريته من لا يحسن قراءة وكتابة الرسالة !! وكما يقول المثل العربي "يكفيك من شر سماعه" فلما جاء الاستقلال كانت جميع العلوم يتيمة، ومنها العلوم الشرعية، ومن الطبيعي جداً أن يظهر على الساحة العلمية والفكرية، أشباه المتفقهين والمتعالمين، ومن الطبيعي جداً أن يظهر الخلاف المذموم في أبشع صوره، إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه، ولن يستقيم الظل والعود أعوج، وسنحتاج إلى وقت طويل لتدارك ما فات.

2- قلّة المؤسسات التي تعنى بالتأطير الشرعي: على مستوى العالم الإسلامي نجد كثيراً من دوله لا تعنى العناية اللازمة بالمؤسسات الدينية، مما تسبب في ظهور متطفلين على الدعوة والإصلاح، اكتفت من الدين باسمه، ومن الإصلاح برسمه، ومن البديهي أنه في غياب الطب الشرعي، تظهر الشعوذة والدجل، ولن تحل المشكلة إلا بعودة هذه المؤسسات إلى سالف عزها وسابق مجدها.

3 . الموروث الحضاري:لاشك أن بعض المتنطعين الجدد، المولعين بالخلاف الفرعي، نبشوا عن بضاعتهم في التراث الحضاري للأمة فوجدوا أصنافا معتبرة من ألوان الخلاف المذموم، فجعلوها رافدا زاخرا، وتكأة شرعية يبررون بها ماهم عليه، وقد سبقت الإشارة إلى بعض

الأمثلة على ذلك.

4. الأمراض النفسية كالكِبر، والغيرة والحسد، والعجب، والرّياء.

5. عدم الإخلاص: للدعوة والدين والمبدأ، فكثير من الدعاة لا هم لهم من الدعوة سوى أن يتوسلوها لنيل مآرب ومصالح دنيوية في عباءة الدعوة، وهؤلاء هم الذين سماهم فتحي يكن المتساقطين على طريق الدعوة، وهم الذين تحملهم الدعوة، بدل أن يحملوها هم.

يقول الشيخ الغزالي: (إننا نلحظ آسفين أن ميدان الدعوة إلى الله غص بأقوام يجعلون وجه الله آخر ما يراعى ويرغب إن كان الأمر لا يعدو أن يكون حرفة تدر ربحاً ربما قليلاً أو كثيراً، وكأن الحرص لا يهيج إلاّ استدامة هذا الربح...) (78).

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: "كثيراً ما يكون ظاهر الخلافات مسائل العلم والفكر، وباطنها حب الذات واتباع الهوى الذي يُعمى ويُصم ويُضل عن سبيل الله، وهذا ما لمسته للأسف الشديد في كثير من ألوان الخلاف التي وقعت وما تزال تقع، فكثير منها يرجع إلى أمور شخصية وتطلعات ذاتية، وإن كانت تغلف بالحرص على مصلحة الإسلام، ويظن أتباع هذا أو ذاك أنه خلاف على المبادئ والمفاهيم، وهو خلاف على المغانم وحب الظهور أو الجاه أو التصدر "(79).

إن الإنسان إذا قل علمه، وفسدت نيته،صار عبئا ثقيلا على أهل الأرض والسماء، وتلك حال كثير ممن انتسبوا إلى الدعوة اليوم، توسلوا الدعوة لملء جيوبهم ومعداتهم، قولهم معيب وسلوكهم مريب...لما قرأت وصف عبد الله الآجري لمدعي العلم في زمانه؛ أحسست كأنما هو يعيش بيننا، ويعرف هؤلاء أحسن مني، فأسنحت له الفرصة، ليقول عن هؤلاء: " يحاج للمراء، مناظرته في العلم تكسبه المأثم، مراده في مناظرته أن يعرف بالبلاغة، ومراده أن يخطئ مناظره، إن أصاب مناظره الحق سره ذلك، فهو دائب يسره ما يسر الشيطان، ويكره ما يحب الرحمن...إن علم ازداد مباهاة و تصنعا، إن كثر العلماء في عصره فذكروا بالعلم أحب أن يذكر معهم، إن سئل العلماء عن مسألة فلم يسأل هو، أحب أن يسأل كما سئل غيره..إن أحد من العلماء أخطأ وأصاب هو فرح بخطإ غيره..إن مات أحد من العلماء سره موته ليحتاج الناس إلى علمه، إن سئل عما لا يعلم أنف أن يقول لا أعلم.. إن علم أن غيره أنفع للمسلمين؛ كره حياته، ولم يرشد الناس إليه..يعد نفسه في العلماء وأعماله أعمال السفهاء، قد فتنه حب الدنيا والثناء والشرف، والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحلة الحسناء، ولا يجمل علمه بالعمل "80 وقول الآجري هو من باب " قطعت جهيزة قول كل خطيب".

وهنا استثني رهطا كريما من العلماء والدعاة الأبرار، الذين نذروا حياتهم لله، فعطروا تاريخنا الأمجد، وأناروا أمامنا الدروب المظلمة، إنهم فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، فبفضلهم.رغم

قلتهم . عرفنا الله، وتعلمنا الدين، وطردنا المستعمر، وعمرت المساجد، وانتشرت الفضيلة، وانحسرت الرذيلة، فكانوا بحق ممن يحملون الدعوة لا ممن تحملهم الدعوة.

أما العلاج المقترح للخلاف المذموم وما يحيط به عموما، فيأتي على رأسه الحل الإسلامي، بالمعنى الدقيق والشامل للكلمة، وعودة المؤسسات الدينية وإعادة الاعتبار إليها، وإعادة بعث التعليم الديني، وإحياء آداب الاختلاف والحوار . قرآنا وسنة وسلفا صالحا . وإدراج أدب الاختلاف ضمن المواد المقررة على تلاميذ وطلاب الجامعات، والتصدي لمخططات العدو الخارجي، الذي يعمل وفق مبدئه المشهور " فرق تسد "

هذا بالإضافة إلى تلك القواعد الذهبية التي أشار إليها الدكتور يوسف القرضاوي، تلك القواعد. التي لا أرى أفضل ولا أحسن منها في موضوع الاختلاف، وما يدور حوله، وهي:

1. لا بد أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات.
2. من النوافل إلى الفرائض.
3. من المختلف فيه إلى المتفق عليه.
4. من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب.
5. من طرفي الغلو والتفريط إلى الوسطية والاعتدال.
6. من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير.
7. من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد.
8. من الكلام والجدل إلى العطاء والتجديد.
9. من العاطفة والارتجال إلى العملية والتخطيط.
10. من التعصب على المخالفين في الرأي إلى التسامح معهم.
11. من الإثارة إلى التفقيه (أو من أسلوب الوعاظ) إلى أسلوب الفقهاء، أو من حماس المنبر إلى هدوء الحلقة.
12. من الكم إلى الكيف...
13. من سماء الأحلام إلى أرض الواقع.
14. من الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له.
15. من الانكفاء على الماضي إلى معايشة الحاضر، والإعداد للمستقبل.
16. من الاستغراق في العمل السياسي إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعي.
17. من اختلاف التضاد والتشاحن إلى اختلاف التنوع والتعاون.
18. من إهمال شؤون الحياة إلى التعبد بإتقانها.

19. من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة.

20. من الإعجاب بالنفس إلى محاسبة النفس(أو من الغلو في إثبات الذات إلى نقد الذات)[81].

والله ولي التوفيق

الهوامش:

(1) هود: 117 -118.

(2) البقرة: 251.

(3) الحج: 40.

(4) د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ب.د، ب.ط، 1989، ص 89- 90.

(5) سورة يوسف، الآية: 69.

(6) الآيات من 89- 92 من سورة طه.

(7) الآيات من 77- 78 من سورة الأنبياء.

(8) الآيات من 64- 84 من سورة الكهف.

(9) ولي الله الدهلوي، الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، دار ابن حزم، ط:1، 1999، ص:164.

(10) وقد كان رحمه الله يرى الوضوء من الرعاف والحجامة وخروج الدم.

(11)حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان، ج1، ص:29.

(12) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج: 1، ص: 47.

وينظر: فن الحوار: أصوله آدابه، صفات المحاور، أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي، دار الإيمان - الإسكندرية، 2003، ص: 65.

(13) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية،بيروت. لبنان، ب د،2001، ج:1، ص:47.

(14) الأنفال: 46.

(15) د. عبد الحليم محمود، العارف بالله بشر بن الحارث الحافي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا. بيروت، ص 48.

(16) المرجع نفسه، 49.

(17) د. حسان حتحوت، بهذا ألقى الله، مؤسسة فهد المرزوق الصحفية للطباعة والنشر، ص31 .

(18) د. الصديق بشير بن نصر، الاختلاف الفقهي: أسبابه ومذاهبه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا. طرابلس، 2008، ص 96.

(19) المرج نفسه.

(20) الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد، دار الكتا ب العربي. بيروت، ج: 13 ، ص 410 .

(21) المرجع نفسه. ص 382.

(22) عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم، دمشق،ط:4، 2005، ص: 196.

(23) المرجع نفسه، ص: 197.

(24) المرجع نفسه. ص 405.

(25) د. طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، دار الشهاب. باتنة، 1986 ص 147.

(26)د. أحمد عويس،أوراق ذابلة من حضارتنا، مؤسسة عبد الحكيم لعرابة للنشر والتوزيع،ط 2،ص 30. 31.

(27)جريدة المعيار، ع: 1، 1932/11/18.

(28) جريدة الجحيم، ع: 1، 1933/01/30.

(29)محمد تاجا،المذاهب الفقهية الإسلامية والتعصب المذهبي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، 2010، ص 174. 175.

(30) د.محمد مورو، المواجهة بين الإسلام والغرب، الدار المصرية للنشر والإعلام، القاهرة – مصر، ط:1، 1993، ص: 20-21.

(31) نفس المرجع، ص 20.

(32) نفس المرجع، ص 25.

(33) بهيج ملاحويش،أضواء على معوقات العمل الإسلامي المعاصر، دار الدعوة. الكويت، ط:3، 1992، ص: 28.

(34) حسان حتحوت، بهذا ألقى الله، مؤسسة فهد المرزوق الصحفية، الكويت، ب ط، ب س، ص: 43.

(35) المرجع نفسه، ص:75.

(36) مما يزيد القلب كمدا أن هذه الفتوى للشيخ رشاد حسن خليل أحد شيوخ الأزهر الشريف، بل هو عميد كلية الشريعة والقانون بالأزهر، ولاحولولاقوة إلا بالله !!

(37) ""أكذوبة الدعوة إلى الإسلام " أحمد القطعاني،مجلة الأسوة الحسنة،ع 68، 2007/03/19،ص 7.

(38)" فيض الخاطر من الدين إلى التراث "أحمد القطعاني، مجلة الأسوة الحسنة،ع 14، 2010/12/07، ص 7. 9.

(39) المتفيهقون، د. محمد حسن هيتو، دار البشائر الإسلامية، ط 1، ص 45.

(40) قي خريف العمر، طلع علينا الأستاذ الفاضل عبد الصبور شاهين ، بمؤلف غريب، عنوانه (أبي آدم) يطرح فيه هذه الإشكالية بحماس زائد، وكأنها من الأولويات في أمة التقى عليها العجز الداخلي والكيد الخارجي، ومزقت شر ممزق، رغم أن ماضيه كان مشرقا بالمواقف الجادة الشجاعة، والفكر الأصيل.

(41) أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، المجتمع الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: 9، 2000، ص: 257، 258، 259.

(42) الصديق بشير نصر، الاختلاف الفقهي: أسبابه وآدابه، ص157 والقول هو ملخص لموضوع رسالة دكتوراه!!

(43) يوسف القرضاوي، الفتاوي الشاذة، ص: 62.

(44)"من أغرب ماقرات وسمعت ورأيت؛ صورة شيخ الأزهر وهو يطوي الصحارى نحو جنوب أفريقيا، ليدعم الحملة الانتخابية لصالح مترشح شيوعي رغم وجود مترشح مسلم.

(45) محمد تاجا، المذاهب الفقهية الإسلامية والتعصب المذهبي، ص 165.166.

(46) د. أحمد الريسوني، أبحاث في الميدان، دار الكلمة للنسر والتوزيع، ص 119.

(47) المرجع نفسه، ص123.

(48) حسن هيتو، المتفيهقون، دار البشائر الإسلامية، ط:1، 1994، ص: 9.

(49) المرج نفسه، ص:11.

(50) محمد علي فركوس، سلسلة توجيهات سلفية: الصراط في توضيح حالات الاختلاط، دار الموقع للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:2،2010، ص: 35.

(51) د. شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، دار الفكر. بيروت، 1979، ص 117.

(52) أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية: المجتمع الإسلامي،مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، ط: 2000، ص: 268.

(53) أحمد بن نعمان، التعصب والصراع الديني والعرقي، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر. الجزائر، ط: 2، 1997.

(54) إسماعيل العربي، حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية،المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، 1984، ص: 25. 26.

(55) شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، ص :116.

(56) نفس المرجع.

(57) انظر الحادثة من التفصيل في محمد الغزالي، هموم داعية، ص 125- 126. وانظر د. حسان حتحوت، ص 141- 142.

(58) محمد الغزالي، هموم داعية، دار الشهاب للطباعة والنشر. باتنة، ص 133.

(59) إيجازاً لكلام يطول حول الموضوع، نقول: إن دول الشمال تريد أن تقول لدول الجنوب توقفوا عن الإنجاب والتناسل بشتى الوسائل: العزوبة وبالواقي وبالحبوب وبالإجهاض أيضاً، ليستأثر التنين بالأكل وحده، إن دول الشمال لا تشكل إلاّ 20٪ من عدد سكان العالم، ورغم ذلك فهي تسيطر على 80٪ من خيراته!، ولا ندري السقف الذي تريد أن ترتفع إليه هذه القسمة الجائرة!!، (الإسلام حضارة الغد، د. يوسف القرضاوي، ص 108).

(60) د. حسان حتحوت، بهذا ألقى الله، ص 140.

(61) خالد محمد خالد، في رحاب علي، دار المعارف بمصر. مصر، ط: 4، 1966، ص 177- 178.

(62) ابن حجر، فتح الباري، ج 9، ص 39.

(63) د. طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، ص 151.

(64) محمد الغزالي، الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟، مكتبة رحاب، ط: 2، 1989، ص:200. 201.

(65) يوسف بن السيد هاشم الرفاعي، نصيحة إلى إخواننا علماء نجد، المقطم للنشر والتوزيع القاهرة، ط: 1، 2004، ص: 68.

(66) يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ص: 6 .

(67) المرجع نفسه، ص:8.

(68) حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان، ج1، ص:296.

(69) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي ، ص 164،165، وينظر: حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، ج1، ص:296.

(70) نجم الدين الطوفي، علم الجذل في علم الجدل، دار النشر فراتزشتاينز، فيسيان، 1987، ص 14.
(71) فخر الدين الرازي، مناقب الإمام الشافعي، ص 313 .
(72) محمد الغزالي، هموم داعية، ص 44.
(73) د. طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، ص 151.
(74) د. محمد حسين هيتو، المتفيهقون، ص: 19.
(*) كان ذلك أيام الاحتلال الفرنسي لتشاد.
(75) محمد الغزالي، هموم داعية، ص 154.
(76) سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى رقم 3070م. سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي 3029.
(77) شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة في تاريخنا الإسلامي، ص108.
(78)محمد الغزالي، مع الله، دار نهضة مصر، ط:2، 2000، ص: 161- 162.
(79) د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ص 192- 193.
(80) أبو بكر بن عبد الله الآجري، أخلاق العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1981، ص: 72.71
(81) د. يوسف القرضاوي، أين الخلل؟ مكتبة رحاب، الجزائر، ط: 2، 1986 ص 83- 85.

The Impact of the bad difference in the backwardness of the nation

Dr. Ahmed BOUSJEDA*

Abstract:

This research addresses the issue of the difference, and how it was a social and religion principal from Mohamed and his followers' period -in his life and after his death -

The difference was a scientific and mental riches and it stays in this way till the late centuries, when it will move from the good circle to the bad, and from the complementary to the separation one.

Nowadays the coherent nation separates to different communities and religions with a main focus on the secondary and subsidiary matters, however in the globalization time we find all countries gather with each other, except our nation separates; this latter causes retardation on scientific, economic and political level.

This is why we should think seriously to leave from the bad difference circle to the good one.

Keywords: The nation, the difference, fanaticism, backwardness.

* Maître de conférence (A) – département de oussoul din - Université des sciences islamiques Constantine – Algérie.